مقدمة

رسائل النور موسوعة في المقاصد ومن أجْلِها وضِعت، فبها كانت وبها تستمر ومنها تستمد فاعليتها، إنّها سِفر غني بالحديث عن المقاصد، بحيث لا تخلو صفحة من صفحاته من تناول المقاصد بشكل أو بآخر، والحديث عن المقاصد حديث عن لبّ لباب الرسائل، إنّه حديث في صميم مؤلفات بديع الزمان النورسي.

يطرح بصدد الحديث عن مقاصد رسائل النور صلتها بمقاصد القرآن الكريم، فهل تمثّلُ امتدادا لها؟ أم أنّها تمثّل ثمرة من ثمرات القرآن الكريم؟

ومن مستأنفات ذلك التساؤل نقول: ما هي مصادر المقاصد في رسائل النور؟ وما هي أنواعها؟ وهل المقاصد في المطلق هي ذات المقاصد في الزمان؟ أم أن إلجاءات المكان وظروف الزمان تفرض تناول المسألة بطريقة مخصوصة تستجيب لسؤال الواقع؟ وتبيّن أهمية التكيّف مع المعطيات المتسارعة، تكيّفٌ تلجئ الظروف إلى الأخذ به في وضع الخطة وترتيب الأولويات.

إذا كان لبعض المتقدمين أن ينصحوا المسلمين بالسؤال عن المطلوب تجسيده أكثر من العناية بما يقال أو يروى، فالمطلوب وفق هذا المسلك أن لا نتساءل عن الروايات والأقوال، بل المطلوب أن نتساءل عن تجسيدها. من هذا المنطلق، فإنّ استيعاب رسائل النور بشكل موضوعي يفرض استيعاب مقاصدها ليتسنى – حين التعامل مع رسائل النور – وضع المطلوب الجزئي في سياقه الكلي من جهة، واكتشاف أثر المعطيات المتسارعة في وضع خطّة التغيير من

جهة ثانية، وتمثّلها من جهة ثالثة، كما يسعفنا في ترتيب الأولويات من جهة رابعة، مستفيدين من تجربة بديع الزمان في وضع الخطة وترتيب الأولويات.

لهذا فالكلام في مقاصد رسائل النور ليس من قبيل الكلام الزائد، بل هو سعيٌ هادف بعيد عن لغو كلام أو تصرف عبثي، و يمثّل تأسيسا لقراءة هادفة تسهم في القراءة بالمقاصد والتخطيط بالمقاصد والتحرّك في إطار المساحات التي تتيحها المقاصد الكلية في إطار فترة تاريخية محددة، إنّها درس في نظر مقصدي ودرس في تطبيق مقصدي.

إلاّ أن الطَرقَ الموضوعي للموضوع يفرض وضع الفرضيات الهادية الآتية:

١) المجموعة الأولى من الفرضيات:

أ. مثّلَ مصطلحُ المقاصد في رسائل النور فكرةً مركزية هادية، يستلهمها بديع الزمان في وضع المقاصد الكلية وفروعها.

ب. المقاصد في فكر بديع الزمان تمثّل ثمرةً من ثمرات القرآن الكريم ومقاصده، تَمثّلَ مضمونَها وحاول النسج على منواله في عرضها، بحيث بدت صورة مستلة منها.

ج. استقى بديع الزمان المقاصد من القرآن الكريم والسنة المطهّرة بما فيها السيرة العطرة للنبي ﷺ، كما استثمر المصادر الكونية والبشرية في تأكيد تلك المقاصد.

د. وضع بديع الزمان مقاصد جزئية فرعية مندمجة في المقاصد الكلية المستفادة من القرآن الكريم والسنة المطهّرة، وكانت استجابة لمعطيات الزمان وضغوط المكان.

هـ. تؤكّد الفرضيات الآنفة بمجموعها أهمية المقاصد في درس رسائل النور

من جهة واكتشاف أبعادها من جهة أخرى، بحيث تغدو بمعزل عنها أشبه بنص يؤسّس للعبثية.

٢) المجموعة الثانية من الفرضيات:

أ. تستبعد أن يكون لمصطلح المقاصد وتوابعه وضعاً مركزيا في رسائل النـــور، فيعُد حضوره حسب هذا التحليل حضورا اعتباطيا لا تحكمه قاعدة مضبوطة.

ب. تمثّل مقاصد رسائل النور في فكر بديع الزمان مكابدة خاصة لا صلة لها بما ورد في الوحيين، ومن ثمّ فهي تمثّل تجربة خاصة مقطوعة الصلة بالمصادر الإسلامية.

ج. المقاصد الجزئية التي وضعها بديع الزمان غير مندمجة مـــع المقاصـــد الكلية، بل تكاد تكون غايات أملتها محاولات التكيّف مع المعطيات التي فرضها الغالب المؤقت، فكانت مسعى للخضوع وليس مسعى لتجاوز الضغوط.

د. التسليم بالنسق الثاني من مجموعة الفرضيات يؤكّد أنّ المقاصد ليست همّا مركزيا في فكر بديع الزمان، وبالتالي ليست هناك أهمية معرفية أو تربويـــة من دراسة مقاصد رسائل النور.

قبول المجموعة الأولى أو الثانية أو رفضهما أو التأسيس لبديل مركّب منهما بشكل يسمح بالخلوص إلى بيان المقاصد في رسائل النور من حيـــث الماهيـــة والطبيعة والمصادر إضافة إلى رتبها، يفرض الإحاطة بالعناصر المشار إليهـــا في فرشة البحث.

من منطلق تحقيق القول فيما سبقت الإشارة إليه نفيا أو إثباتا أو تعـــديلا، سنعرض مجموعة من القضايا المتجانسة فيما بينها متناغمة مع العنوان الـــرئيس للبحث، وبهذا الصدد سنتناول ما يأتي:

١. المقاصد: المصطلح والأهمية.

٢. مصادر مقاصد رسائل النور ومميّزاتها.

٣. المقاصد الكبرى في رسائل النور.

٤. مقاصد رسائل النور في الزمان.

٥. أبعاد أهمية بحث المقاصد ومفسدات فعاليتها في رسائل النور.

ونختم البحث بما انتهينا إليه بعد الاستقصاء والتحليل.

اعتمدتُ في إنجاز هذا البحث على ما أورده الأستاذ بديع الزمان في رسائل النور، ووظّفت للبحث والتحليل منهجا مركّبا من الاستقراء والتحليل، فأعتمد الأول من أجل تتبّع الجزئيات من أجل الخلوص إلى قاعدة كلية تضبط الجزئيات، واستعملت معه التحليل تيسيرا لفهم النصوص أولا والخلوص إلى نتائج منسجمة مع المضامين (المقدمات) ثانيا، ويحكمنا في كلّ ذلك القراءة الهادفة الهادية إلى مكامن توظيف فكر بديع الزمان في التحليل والتركيب، إضافة إلى الاستفادة من المضمون نفسه.

يُعدّ هذا الكتاب اللبنة الأولى من سلسلة المقاصد في رسائل النور، تلحقها لبنات أخرى تيسّر تتبّعَ المقاصد في رسائل النور من زوايا وأبعاد متنوّعة، فتكون اللبنة الثانية – إن شاء الله – قراءة في وظائف مقاصد رسائل النور، تلحقها دراسات تتّبع مقاصد العقيدة والشريعة والتصوّف والدعوة ومسالكها في رسائل النور...

تلك رغبتنا وذلك هو برنامجنا، أسأل الله تعالى التوفيق إلى تحقيق هذه الغايات والأهداف.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين أجمعين..